

في نور محمد فاطمة الزهراء

حتى عشيرته الأقربون لم يلبّوا الدعاء، مرتين جمعهم - من بعد - ليبيّسّهم، وفي المرتين خذلوه، كان من بعض أحاديث معهم، أن قال: «إنّ الرائد لا يكذب أهله ... وإني لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم وإني الذي لا إله إلا هو، إنّي لرسول الله إليكم خاصّة، وإلى الناس كافّة». وأكّده: «وإني لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبنّ بما تعملون، ولتجزونّ بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً». ثم بيّس وأنذر: «إنّها الجنّة أبدأ، أو النار أبدأ». ثم ناشدهم، وهو يمدّ يدهم الجزاء الأوفى: «يا بني عبدالمطلب ما أعلم شاباً جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به إنّي قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة». وسألهم أيّهم ناصره لنشر كلمة الله، فلم يجيبوه، ازوروا عنه، خرست ألسنتهم - وإنّهم لذوو الأحلام والرأي في الناس - عن الأخذ بالدعوة الهادية، إلا غلاماً حدثاً منهم أراد ربه أن يضربه مثلاً للفتنة وشفافية الروح. عليّ وحده هو الذي لبّاه: «أنا يا رسول الله» ثلاثاً أكّده أنّه مجيب مؤازر نصير. وثلاثاً أمره محمد بالسكوت، ليفسح المجال لأولئك «الكبار»، لكنّهم ظلّوا على الصمت والوجوم، صمتهم زراية [377]، ووجومهم تكذيب. ثم نطق بلسان حالهم عمّه أبو لهب، كأزماً يردّد عن إبليس، بكلّ ما فيه من صلف الشرك، انتفض مرّةً يصرخ غاضباً في وجه ابن أخيه: ما رأيت أحداً جاء بني أبيه وقومه بأشرف ممّا جئتكم به، وهمّ أن يقذفه بحجر ... فتبّت يداه! وأخرى صاح بأهله - وشركه ينهش قلبه - يؤلّسّهم على الدعوة وداعي السماء: هذه وإني السواة! خذوا على يديه، ثم أسرف في غيّه. فلولا أن عابت عليه فعله هذا أخته صفيّة بنت عبدالمطلب، فلربّما سدر عندئذ